



سوسيولوجيا المكان النصي في رواية مولى الحيرة لإسماعيل يبرير.

Sociology of the textual place in Ismail Yabrir's novel

أحمد بركة*، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،

مخبر الانتماء : مخبر الدراسات الأدبية و النقدية وأعلامها في المغرب العربي من التأسيس إلى نهاية القرن العشرين .

البريد الإلكتروني: ahmedbaraka13@gmail.com

تاريخ المقال

النشر: 2025-06-12

القبول: 2022-04-09

الإرسال: 2021-05-25

الكلمات المفتاحية

ملخص البحث

السوسيولوجيا
النص
المكان
رواية مولى الحيرة
إسماعيل يبرير

تعد الرواية وثيقة فنية اعتمدتها مناهج البحث الإنسانية باعتبارها تبحث في جوهر المجتمع من جانبه الاجتماعي والنفسي والثقافي، إضافة لكونها جنس أدبي مستقل له ارتباط وثيق بالحياة الاجتماعية خصوصا فيما يتعلق بالرواية الواقعية، وهذا ما جعل النص السردي قابلاً للتحليلات المختلفة. ويعتبر المكان السوسيولوجي من أهم تفاصيل العمل السردي التي يعتمد عليها الروائي لنشر فكرته. سنحاول في هذا المقال البحث عن علاقة المكان النصي بالسوسيولوجيا، وكيف يعتمد النص على علم الاجتماع لتحليل المجتمعات انطلاقاً من جزئية المكان؟، باعتبارها الفضاء الذي تتلاقح فيه الأفكار وتتطور فيه الأحداث ونخص بالدراسة رواية مولى الحيرة للروائي لإسماعيل يبرير الذي جعل من المكان الحقيقي فضاء يرحل بالمتلقي لمدينة الجلفة العامرة بالأحداث والتاريخ والحضارات المتعاقبة، حيث تدور أحداث الرواية.

* المؤلف المرسل

Abstract

The novel is an artistic document that has been adopted by human research methods as it examines the essence of society from its social, psychological and cultural aspect, in addition to being an independent literary genre that has a close connection with social life, especially with regard to the realistic novel, and this is what made the narrative text open to various analyzes. The sociological setting is considered one of the most important details of the narrative work that the novelist relies on to spread his idea. In this article, we will try to search for the relationship of textual place to sociology, and how does the text depend on sociology to analyze societies on the basis of the place part?, As it is the space in which ideas coalesce and events develop, We specialize in the study the novel of Mawla al-Hirah, by the novelist, Ismail Yabrir, who made the real place a space for the recipient of the city of Djelfa, full of events, history and successive civilizations, where the events of the novel take place .

Keywords

Sociology
text
Place
Novel Mawla Al-Heera
Ismail Yabrir

. مقدمة

تعد الدراسات البينية من أبرز السمات التي ظهرت في مجال الدراسات الأدبية وعلاقتها بالعلوم الإنسانية الأخرى ، فهو نهج يساهم في تبادل الخبرات البحثية والاستفادة من الخلفيات الفكرية و المناهج البحثية المختلفة بين الباحثين ، وهي حقل من الحقول المعرفية الجديدة الناشئة من تداخل عدة حقول أكاديمية تقليدية أو مدرسة فكرية (مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، 2017 م ، 1438 هـ)، ومن العلوم و المعارف التي أمكنها فتح طريق مع الأدب بفنونه ونقده ، علم الاجتماع ، وبهذا كان علم الاجتماع الأدبي من فروع علم الاجتماع العام، وهو الذي يهتم بدراسة الظواهر الأدبية و الفنية و الجمالية في إطار سوسيولوجي ، وقد كان لبعض الباحثين السابق في هذا الموضوع ، فنجد بيير زيمـا Pierre V. Zima يركز على موضوع سوسيولوجيا النص كمصطلح صريح يجمع بين السوسيولوجيا والنص الأدبي ، لكن رغم هذه الجهود التي بذلها تبقى هناك جهود اعتمد عليها زيمـا في بناء أفكاره ، فقد اعتمد بالأساس على أفكار فريدريك هيجلFriedrich Hegel و كارل ماركسKarl Marx ثم جورج لوكاشGeorg Lukács ولوسيان غولدمانLucian Goldman ، في حين يمكن اعتبار ميخائيل باختينMikhail Bakhtine زمينيا من المؤسسين الفعليين لهذا التيار (الحميداني، 1990).

علاقة السوسيولوجيا بالرواية :

بعد اتساع رقعة المعرفة السوسيولوجية، وشدة الاهتمام بها من طرف الباحثين ، قدمت نفسها إلى الكثير من المعارف والعلوم بصفتها العلم الذي يمكنه تغطية كل تفاصيل المجتمعات بالدراسة والتحليل والتفسير ، فخاضت في كل المعارف مفسرة الظواهر الاجتماعية ، وباعتبار الأدب انعكاس لصورة المجتمع على الإبداع الفني ، اهتمت السوسيولوجيا بهذا الجانب كمحاولة لتوسيع شبكة الدرس الاجتماعي ، وكذا كون الأدب يعيش دائما على ما ينتجه الواقع من أحداث ، فيجد الباحث السوسيولوجي نفسه ملزما على سحب آلياته الإبتستيمولوجية لقراءة النص الأدبي قراءة متخصصة.

ولعل كتاب الروائية الفرنسية مادام دوستال Germaine de Staël، "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية" الصادر عام 1800 أول دراسة منهجية في مسار سوسيولوجيا الأدب ، بحيث جمعت الأدب والمجتمع في كتاب واحد أكدت من خلاله أن الأدب يتغير بتغير المجتمع ، وقدمت الفلسفة الماركسية بعد ذلك جملة من المبادئ في إطار فلسفة. المادة أسبق من الفكر. فأثرت بذلك على نظرية الانعكاس التي جمعت بين هذه الفلسفة وعلم الاجتماع ، وخلصت إلى أن الأدب على صلة وثيقة بكل هذه العناصر دون أن تلغي خصوصيته الفنية. (تومي، 2014)

وفي القرن العشرين ظهرت مجهودات أخرى جمعت بين النظرة الاجتماعية و التاريخية وترأسها جورج لوكاتشGeorg Lukács، وواصل لوسيان غولدمانLucian Goldman في هذا المجال بطريقة

جمع فيها بين الماركسية والبنوية ، وقدم

ببييرزيمما Pierre V. Zima تصورا آخر من خلال بلورة الأبحاث اللسانية و اللغوية لصالح الظاهرة الأدبية ففتح بذلك علم آخر يختص بعلم اجتماع النص(تومي، 2014).

تُصنّف الرواية اليوم من أكثر الفنون ارتباطا بالقراءة السوسولوجية باعتبارها نقلة نوعية في الفعل الحكائي الغربي أو العربي على حد سواء، وفي قراءة سريعة لتاريخانية النص السردى أو الحكائي عموما في الثقافة العربية ، نجد أن الإنسان العربي القديم كان يميل أكثر إلى المخيال الغير واقعي المليء بالعجائب والغرائب في محاولة للترويح على نفسه والهروب من الواقع فلو أردنا إسقاط الدرس السوسولوجي على ما حكاه المخيال العربي القديم لوجدنا أنفسنا أمام مهمة صعبة يمكن أن تحيلنا لآليات الدرس الأنثروبولوجي -الإنثوغرافي - لقراءة النفسية التي كانت تثير هذا النوع من الحكائيات العجائبية ، وفهم نفسية العربي (رسالة الغفران لأبي العلاء المعري) ، لكن في العصر الحديث ومع ظهور الواقعية كمذهب صنع نصا روائيا اختلف عن تفاصيل الحكائيات القديمة، رأى الناقد المتخصص وجوب الاستفادة من المعرفة السوسولوجية لقراءة المجتمعات من خلال النص الروائي باعتباره وثيقة وصفية للواقع المعاش ، وأصبح النص الروائي في لغة السوسولوجيا ممارسة دالة وليس مجرد إبداع أدبي جمالي ، ويحتمل أن يلعب الأدب هنا دورا مجتمعيًا تبعا للمصالح التي تحرك ممتنيه ، ويمكن أن يكون في خدمة قضية ما (فضيلة، 2010)، ويحاول عالم الاجتماع أن يجد تفسيراً ، وهذا التفسير ليس دائما تفسيراً سببياً ، بمعنى أن هذا النص هو هكذا لأن

المرحلة التي ينتهي إليها هي هكذا وإنما كما يتحدث عن ذلك بعض الباحثين في سوسولوجيا الأدب أنه يمكن أن تكون العلاقة بين النص الروائي والواقع علاقة تجانسية بنوية ، أي من حيث البناء يوجد تجانس من غير أن يؤثر أحدهما في الآخر . (فضيلة، 2010، صفحة 154)

إن السوسولوجيا بآلياتها المعرفية تتطلب تجاوز مرحلة الحديث النسقي إلى مرحلة التفسير كأن يتم التساؤل " لماذا هذه البنية هكذا ؟" ، ولكن ليس من منظور بلاغي أسلوبى ، إنما من منظور اجتماعي . (فضيلة، 2010، صفحة 154)

هذا الاهتمام الاجتماعي للرواية فتح في المدارس النقدية والمعرفية الحديث عن مصطلح سوسولوجيا النص إلا أن استخدام هذه التسمية المحددة . يرجع الفصل فيه لببييرزيمما وهو لا ينفي الأصول التي استقى منها تصورات النظرية .

وتمتلك سوسولوجيا النص الروائي الوسائل والتقنيات المسهلة لتحليل الأعمال الروائية من الداخل ، أي الكشف عن العلاقات الاجتماعية . (فضيلة، 2010، صفحة 72)

يرى باختين أن الموضوع الرئيسي في الرواية هو المتكلم وكلامه ، إذ المتكلم أساسا فرد اجتماعي ، وخطابه لغة اجتماعية ، وليست فردية، كما أن هذا المتكلم يقدم وجهة نظر خاصة عن العالم ، في هذا يصير باختين على أن الأدب ليس مجرد تعليق عن الحياة الاجتماعية، إنما لا بد من دمجها في العلاقات الاجتماعية ، ويجب دراسة العمل الأدبي في ذاته و علاقاته الداخلية . (عباسي، 2012)

ويجدر الذكر أن سبب اهتمام النقاد بالرواية في معظم نظرياتهم الاجتماعية الحديثة دون الاهتمام بالنص الشعري يعود إلى أن الرواية تعكس القضايا الاجتماعية وتجسد تلك الظواهر والصراعات في مختلف الشخصيات ، وبالتالي في أكثر مجالا للمقاربات الاجتماعية للأدب، ثم حدث بعد ذلك التطور في فروع علم الاجتماع الأدبي ، فنشأ علم اجتماع النص ، الذي يعتمد على اللغة بوصفها واسطة الأدب والحياة ، فهي مركز التحليل النقدي في الأعمال الأدبية. (تومي، 2014، صفحة 240)

النص الروائي إذا من أهم الأسس التي بُنيت عليها التحليلات السوسيولوجية للنص الأدبي باعتبارها أرضا خصبة لتوصيف أحوال المجتمع ورسم تفاصيل علائقه الجمعية التي تقوم على مبادئ تختلف من مكان لآخر ، وبهذا يكون المكان من أهم الزوايا التي تتدخل السوسيولوجيا لفك شفرات النص وما يريد الروائي الوصول إليه .

التجليات السوسيولوجية للمكان في رواية مولى الحيرة .

مولى الحيرة من الأعمال الروائية الجديدة التي ركز فيها صاحبها على جزئية المكان وجعله فضاء نصيا يسرد فيه تفاصيل الحياة في مدينة بحجم الجلفة مختصرا الأمر في حيز ضيق من المدينة الواسعة "حي القرباة" ، وأول شخصية يصادفها القارئ في أزقة هذا الحي "الذي كان نواة لمدينة فتحول إلى هامش لها هو"بشيرالديلي" . الديلي . تحريف لكلمة "délai" في العامية الجزائرية ، وهو رجل في الثالثة والستين "63" من العمر يعود إلى الحي بعد غياب طويل.

أصبح بشير"الديلي" - شاعر خا نه الحظ في البروز ومفلس ومناضل يساري نفي في التسعينيات ("منذ بدا الناس يكتشفون إسلامهم مجددا") إلى الضفة الأخرى من المدينة- تأمها وسط أزقة "القرباة" و مسكون بذكرى "الخونية"- تلك المرأة الغربية التي أثرت حولها الكثير من الاساطير-والتي تزوجها لسنة فقط ، ومع عودة "الديلي" تطفو مجددا قصص أخرى لقدماء الحي من رفاقه في النضال على غرار عبد الحميد المدرس وآخرين اصغر سنا منه مثل يحي الأخرس - الذي عاش عدة قصص حب فاشلة خاصة مع "التالية"- و"مينا" ابن بشيرمنالخونية الذي أصبح منتخبا محليا ذا نفوذ.(الجزائرية، 2016)

تفاصيل بشيرالديلي التي كانت نظرتة لحيته و مدينته دقيقة ، فبشير شاعرو نظرة الشاعر تكون مليئة بالعاطفة التي لا تفرط في أي تفصيل صغير يعيشه ليصفه على لسانه أو على لسان الآخرين حيث تبدو لغة يبرير في حد ذاتها لغة شاعرة أعطت لبشير روح الشاعر الحقيقي ليعيش المتلقي للنص لحظات حقيقية مصورة من حي القرباة حيث تفاصيل الحياة الاجتماعية التي ظهرت جلية في رواية مولى الحيرة ، وفي ما يلي سنسلط الضوء على اشتغال اسماعيل يبرير على المكان باعتباره مكان تلاقح الأحداث لخلق عالم خاص يمكن أن يكون كل مكان في عقل المتلقي باعتبار مايقوم به ساكنة القرباة هو أغلب مايقوم به ساكنة الأحياء في المنطقة كلها بل في كامل البلاد ، إذ يماثل المحكي الروائي لـ«مولى الحيرة» المحكيات السابقة ليبرير، من كونها تعيد هندسة العالم البشري استنادا إلى نظرية سوسيولوجية، تبث النتوءات الغائبة في التفكير والحياة والعلاقات الإنسانية للقريبة الجزائرية. وتعبهاته الهندسة السردية المستندة إلى

التاريخ العام والخاص والطفولة والحلم والذاكرة باعتبارها وسائط معينة، سابقة على فعل تشييد أبنية مضادة أو بديلة.(الحجري، 2016)

إن التركيز على جزئية المكان في النص السردى ينحني بنا للحديث عن بلاغة المكان استمرارا لمقاربة سردية ظهرت بشكل لافت في روايتي «باردة كائن» و«وصية المعتوه» وهو ما راهن عليه إسماعيل بيرير في اشتغاله على المكان؛ باعتباره الرافد الذي يمكنه أن يمنح الرواية العربية هويتها.

فالمكان والاهتمام به في بناء النص الأدبي ظهر منذ القدم عندما اهتم الشعراء القدامى بالطلل ، وإن كان ذلك في الغالب نابعا من الخيال إلا أنه أصبح عمادا من أعمدة النص الشعري القديم ، ونفس الأمر مع النص السردى الذي يجعل المكان حيزا للتواصل بين الكاتب والمتلقي ، وهذا ما يؤكد غاستون باشلار في مفهومه للمكان وجعله يقف على خيال المؤلف وحالته النفسية ومدى توافق واختلاف خيال المتلقي معه.(آخرون، 2002)

فعنصر المكان كان ولا يزال من مواضيع الكتابة النقدية بحيث رافق الأدب قديمه وحديثه ، نثره وشعره ، فالحيز لم يكن وقفا على الادب وحده ، وكان ينبغي أن يكون كذلك ، بل هو مظهر يمثل كل الطين يتعاملون معه بالفكر والقلم والريشة والصورة ، لكن لما كان الادب هو الأصل في التفكير وفي الخيال وفي التصوير فإنه يكون مجالا يتمكن فيه الحيز بامتياز.(مرتاض، 1998)

ويرى مرتاض أيضا أنه حتى وإن كان للمكان حدود تحددها نهاية يتجه إليها فإن الحيز لا حدود له ولا انتهاء - وهو التسمية التي يرتاح لها مرتاض في

الحيز من بين مشكلات البناء الروائي كالزمان والشخصية واللغة...ولا يجوز لأي عمل سردي . حكاية، خرافة، قصة، رواية. أن يضطرب بمعزل عن الحيز الذي هو عنصر مركزي فيتشكل العمل الروائي حيث يمكن ربطه بالشخصية واللغة والحدث ربطا عضوي.(مرتاض، 1998، صفحة 125)

إذا الروائي أو الحيز - حسب رأي عبد المالك مرتاض - أولى له النقاد كثيرا من التحليل والدرس وفقا لتأصيلات معرفية مختلفة ، من بينها التفسير السوسيولوجي الذي هو موضوع حديثنا انطلاقا من نص " مولى الحيرة " ، والذي سننعمد في تناوله على ثنائية المكان المفتوح ، والمكان المغلق .

- المكان المفتوح :

الفضاء هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية، إذ يعتبر الإطار الذي تدور فيه أحداث الرواية وليس هنا موقف التركيز على جزئية المصطلح بين الفضاء والمكان . والذي يعتبره بعض النقاد مصطلحان لفكرة واحدة .

في رواية مولى الحيرة تنوعت الامكنة المفتوحة نتيجة لتنوع الأحداث وسنحاول التركيز على أهم الفضاءات التي اخذت حيزا واسعا من الرواية بقدر السعة الموجودة في انفتاح فضاءاتها ، ومنها :

01 المدينة : " الجلفة " .

كانت الجلفة حاضرة بقوة في رواية مولى الحيرة وذلك لحدوث وقائع الرواية في أحد أحياء هذه المدينة ، وربما يعود اختيار بيرير للجلفة كونه ابن المدينة الذي يحاول رد جميل مدينته التي عاش فيها ، فتوظيفه للجلفة في أغلب أعماله غالبا هو بداعي الموروث الثقافي الذي تخزن في عقل الكاتب منذ سن الطفولة . ورغم أن الأحداث كانت تدور في حي من أحياء المدينة إلى أن ذكر الجلفة كان حاضرا في كل

أطوار الرواية " ولعل الجميع يعرف أن سكان الجلفة لا يغادرونها إلا فيما نزر " (يبرير، 2016) كذلك حضور اسم المدينة كان في أغلب صفحات الرواية مبينا الارتباط الاجتماعي الذي كان بين الكاتب وهذه المدينة التي ظهر جليا بأنه يعرف تفاصيلها .

02 حي القرباية :

حي القرباية لم يكن أقل حظا من الجلفة في أطوار الرواية ، وربما يتجاوز الأمر ذكر المدينة باعتباره الحي الذي قامت فيه أحداث الرواية . كان الحديث عن القرباية يخضع لمقياس الزمن السردى فتجد الروائي يذكر الحي في تفاصيل الزمن اليومي كقوله : " الفجر في القرباية أقرب منه إلى الأحياء الأخرى ... كان الليل سحرا لا يمكن التنازل عنه " 16، وكان كلما مر على شخصية إلى ويصف دورها وعلاقتها بالحي مكتفيا في الغالب بوصف المشهد الخارجي للمنزل مثل وصفه لبنت الديلي . بطل الرواية . " ... اكتفى السايح بباب واحد خشبي أبيض ، في حين أحكم الديلي إغلاق شقته ببابين أسودين ، الباب الحديدي الأولى كتلة لا تسمح لذرة غبار بالدخول ، ثم باب خشبي خشن " . (يبرير، 2016، الصفحات 14-15) هذا التوصيف الذي يظهر بسيطا له دلالة على رؤية الديلي للحي الذي عاد إليه بعد غياب وكيف أنه رغم كونه ابن الحي ويعرفه جيدا ، إلا أن الحرص الزائد الذي يكون قد جلبه من رحلاته خارج المدينة جعله يوصد مدخل منزله بهذا الشكل في حين أن جاره المقابل له اكتفى بباب خشبي أبيض رمز للأمان الموجود في الحي .

03 الشارع :

الشوارع في روايات المدن والأحياء أكثر الفضاءات المفتوحة التي يكثر الحديث عنها باعتبارها أماكن

لتنقل الأبطال وفيها تحدث كثير من التفاصيل التي تسبق الأحداث الموجودة في الفضاءات المغلقة ، وأحيانا تحدث في الشوارع أغلب الحوارات المهمة في النص السردى باعتبارها أماكن مفتوحة يمكن أن يتبادل فيها الحديث شخصان بعيد عن أبطال الرواية الأخرى، كما يمكن أن يكون الحوار فيها منوعا مع المارة والساكنة وأصحاب المحلات والدكاكين ، إذا فالشوارع تعتبر أماكن انتقال ومرور نموذجية لأنها تشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها ورواحها عندما تغادر الأماكن الخاصة المغلقة . (يبرير، 2016، صفحة 12) ومن هذه الأمثلة يقول الراوي : " تمنى لو أنه يعرف بايزيد بالعاصمة لقصده في تيمه الجديد ، كان قد التقى عيسى الجارديني قبل أشهر بميسوني (حي بالعاصمة) وعرف أنه هو سارا معا إلى شارع طنجة و التهما لوبية شهية عند ملك اللوبيا وتبادلا أخبار القرباية " 19 . إذا تعتبر الشوارع من الأماكن التي جعلها اسماعيل يبرير حيزا لذكر تفاصيل يمهد بها لأحداث أخرى تنتقل من الفضاء المفتوح للفضاءات الأخرى داخل النص .

04 -الأحياء :

تعد الأحياء حيزا أكبر من الشارع وأقل جغرافية من المدينة ، لكن لا يمكن الحديث عن حي واحد دون الحديث عن الأحياء المجاورة له باعتبار الحديث انطلق في الأصل من فضاء المدينة الواسع فرأى يبرير ضرورة الاهتمام بالأحياء المختلفة وأعطى لها امتدادا للقرباية . الحي الرئيسي . وهذا يمكننا أن نقسم الرواية لحي رئيسي وأحياء ثانوية ترتبط بالمكان المركزي للرواية في مشاهد مختلفة ، من الأحياء التي ذكرها صاحب القرباية :

- حي شي غيفارا : قد لا يبدو الاسم غريبا فهو اسم مشهور وجعله اسماعيل مكانا يعيش فيه

وكذا تطرقت الرواية لأماكن مفتوحة أخرى كالحديقة والجامعة والمدرسة وغيرها مما اضطرت إليه أحداث الرواية.

- المكان المغلق :

تنوعت الأماكن المغلقة في الرواية نظرا لزخم الأحداث في النص وترابطها بكل أطراف المجتمع ، نذكر منها (البيت ، المقهى ، المسجد ، المدرسة ، المكتبة ، المستشفى ...)

01 البيت :

البيت الجامع للعائلة من أهم الفضاءات المغلقة التي عالجتها الرواية باعتباره أول مكان ينصرف إليه الشخص او يخرج منه للفضاءات المفتوحة ، وأهم بيت في الرواية هو بيت البطل بشير الديلي الذي كان يلجأ إليه دائما ليعيش فيه مشاعره التي يريد كتمها عن الآخرين و العيش فيها بسرية " ... وعاد لشقته يرغب في البكاء بشدة " (يبرير، 2016، صفحة 418). كذلك يعتبر البيت عند بشير مكانا لالتقاء الأصدقاء لاسترجاع الذكريات " أربعتهم أحيوا ذكرى رحيل الرفيق غيفارا ... والتقوا في بيت الديلي " (يبرير، 2016، صفحة 39) ، إذا فالبيت فضاء مغلق تعيش فيه الشخصية تفاصيل الرواية سواء بمفردها أو مع بعض الشخصيات المهمة أو الهامشية لتستمر فصول الرواية بالتقدم من خلال الفضاءات المغلقة المتمثلة هنا في البيت .

02 -المقهى :

يعد المقهى فضاء خاصا تدور فيه أحداث كثيرة لكونه مكان يجتمع فيه أشخاص كثر فتكون الحوارات متعددة المشارب عكس البيت الطي يمكن أن يكون فيه الحوار ذاتيا او استذكار لأحداث ماضية أو تخطيط لأحداث مستقبلية ، فالمقهى مكان يبذر فيه شخصيات الرواية أوقاتهم للتعبير عن مكنونات

بطل الرواية " بشير الديلي " وقدم له بقوله :
.. في الطابق الثالث من عمارة مشدوهة أمام شروق الشمس بجنوب المدينة بحي شيغيفارا" (بحراوي)

- حي الضاية : يظهر في مدخل الرواية الحديث عن هذا الحي وقد أورده الروائي لضرورة المقارنة مع الحي الذي يسكنه البطل ، ففي الضاية كان أكثر حداثة " ... حي الضاية أكثر حداثة من حيه الرث " (يبرير، 2016، صفحة 257)، فبذكرها الحي الحديث يفهم القارئ حال حي البطل الذي طالاه النسيان والتمهيش.

05 المقبرة :

المقبرة مكان مفتوح يهتم به الروائي ليلمح لثقافة المجتمع الذي يتحدث عنه وفيه ارتباط بين الأحياء وماضيهم الذي لا يمكنهم التخلص منه ويظهر هذا في كثير من العبارات : " انتهى الديلي إلى قبر الخونية ، وقرأ مجددا القصيدة " (يبرير، 2016، صفحة 21)

06 السوق :

الأسواق من الأماكن التي يهتم بها الروائيون غالبا باعتبارها أماكن لتنقل الأخبار وانتقال الأحداث وتطورها ، وهي الأماكن الشعبية الأكثر مقصدا ، ويظهر في الرواية حديث عن كثرة الأسواق بالحي ، فتركيز الأحداث قد ترسم في خيال المتلقي أن الحي فارغ من سكانه عدا أبطال الرواية ، لكن ذكر كثرة الأسواق في حي واحد ينبه إلى أنه حي مكتظ بالسكان ، ويظهرها في قول اسماعيل : " مشى باتجاه شقته أقصى جنوب المدينة ، عبر بين السوق الدائرية والسوق المغطاة بهدوء نحو شارع سيدي نايل .. " (يبرير، 2016، صفحة 22)

النفس ، ولعل ها يوضحه الروائي بقوله على لسان مينا مخاطبا خير الدين : "ولكنني أجلس معك في المقهى وندخن معا ، نتناقش كل الامور " (يبرير، 2016، صفحة 14) مما يبين أهمية المقهى في تبادل أطراف الحديث والنقاشات المختلفة . وأحيانا يكون المقهى مكانا لينعزل فيه الشخص بنفسه حتى وهو موجود بين الناس بدل الانعزال في بيته وحيدا ، فكأنه في انعزاله يستأنس بمن هم حوله للإحساس بالأمان ، والطمأنينة ، ونجد البطل بشير كان كثير الانعزال في مقهى الأمير ، حيث توجد عليّة يقعد فيها وحده منعزلا بأفكاره : "جلس في عليّة مقهى الأمير ...، ولم يأخذ شيئا بالمقهى، مشى هادئيا ومتريدا لا يحدد وجهة .."

03 المسجد :

يصنف المسجد من ضمن الأماكن المهمة التي يجب الاهتمام بها في المجتمعات التي تولي أهمية قصوى للعبادة ، فالتمدين ظاهرة لا تغيب في أي زمان ، وأحيانا يزداد التدين أو ارتياد المسجد في الأماكن الهشة اجتماعيا بعضها بسابق نية لأداء الفرائض الإسلامية ، وبعضها مراحل تدين متقطعة تجعل البعض يعتاد زيارة المسجد في مدة معينة ثم يتوقف ، وأحيانا يكون الأمر مرتبطا بموسم ديني معين كشهر رمضان وهذه من الظواهر الاجتماعية التي يجب أن تعالجها الرواية بالفحص والتدقيق للحفر في تفاصيل الحياة الاجتماعية الجزائرية ، ونجد ذكر المسجد في بداية الرواية في قول الروائي : "الشيخ يخرجون نحو المسجد بخطى مطمئنة ، وقد انتشر الإيمان بين بعض الشباب الملتحين والحليقين"(يبرير، 2016، صفحة 17) ، فالمسجد هو المكان الذي يطمئن فيه الناس حسب الراوي ، يشير أيضا إلى أن رواد المسجد يكون غالبا لهم سمت خاص يعتقد البعض

عليهم ، قد لا يكون صوابا ولكن هكذا يصور رواد المساجد في الذهنية الجزائرية عموما ، : " ... يعرف سلفا أنه ما من مدخن بين هؤلاء الشباب الذين يتسابقون الخطى نحو المسجد ... " (يبرير، 2016، صفحة 287) كان هذا في رحلة بحثه عن سيجارة يطفئ بها عطش رئتيه للنيكوتين في وقت مبكر لا تفتح فيه المحلات ، وهي إشارة ضمنية أنه في الأحياء الهامشية للمدينة لا تفتح المحلات باكرا .. الأماكن المغلقة أيضا يمكن أن نجد المستشفى وهو وسيلة للقاء الأشخاص في إطار تلاحم مجتمعي أو أماكن يمكن جعلها سرديا أيقونة لاسترجاع ذكريات معينة باعتبار المستشفى مكان للمرض والمرضى مقترن بالموت وتوديع الشخصيات غالبا ، كذلك دارت كثير من الأحداث في الحافلات خصوصا في لحظات استرجاع للأحداث أثناء حوارات أشخاص الرواية وخاصة حافلات العاصمة باعتبارها مكانا آخر تم استحضاره في أكثر من موقف في الرواية . من خلال ما سبق ، يمكن الوصول إلى فكرة عامة مفادها أن نص "مولى الحيرة" نص تظهر فيه اللمسة السوسيولوجية بشكل ظاهر لا مجال لاختفائه ، فالروائي يركز على جزئية المكان وعلاقته بالزمان والأشخاص ، لكن المكان في هذا النص له خصوصية تتعدى أهمية الزمان باعتباره الملجأ الذي يرجع له بطل الرواية رغم أنه عاش في فضاءات أفضل بكثير من حيه الذي رجع إليه ولكنه الحنين والنوستالجيا التي تأسست في ذهنية الجزائري الذي رغم انتقاده لمكان عيشه وعدم رضاه به إلا أنه يقاوم لأجل البقاء في تفاصيله المؤلمة باحثا عن مواطن الفرح والسعادة التي يصنعها سواء حقيقة ملموسة أو أمني تختلج قلوب الشخصيات النصية . يظهر هذا جليا في حكاية الديلي الذي يستفيق على خبر وفاة

جاره السايح ، أو "البني" كما كان بحلوله أن يسميه ، رغم أنهما كانا لا يطبقان بعضهما البعض وأنه دار بينهما حوار قصير فقط قبل وفاته إلا أن موته شكل للبشير الديلي - صاحب الحيرة الكبرى في الرواية - هاجسا أرقه وأحزنه ، فحتى نظرات المقت والعداوة كانت تُعتبر للديلي حافزا للحياة وجعل الروائي لتقاطعاتهما الحياتية أماكن خاصة لكليهما في درج العمارة حيث يسكنان ، ثم ينتقل النص من موت السايح إلى مآتمه حيث تبدأ قصص الديلي وهو يروي حكايا كثيرة تخرج منها حكايا كثيرة أخرى تُعبر كل جدران حي القرابة ومدينة الجلفة وصولا للعاصمة رجوعا إلى حي شيفيفارا ومنزل الديلي الذي ظل في حيرته حتى أصبح بحق مولى الحيرة . يمكن لنا أن نختصر الحديث حول هذه الرواية في عدة نقاط تكون بمثابة ختام لهذا الحديث الذي قد ينتهي وتبقى حيرة البشير مستمرة كما أراد لها صاحب الرواية ان تكون ومع ذلك تعتبر رواية مولى الحيرة من الأعمال الروائية التي يمكن اختزال تفاصيلها السوسيولوجية في النقاط التالية:

-اعتمد الراوي على أسلوب الزمن المتقطع ، لتعدد الأماكن فيرحل من البيت إلى المقهى إلى الحي إلى العاصمة رجوعا إلى الجلفة المدينة لينتهي المطاف إلى أحد الفضاءات المغلقة كالبيت أو المقهى أو المستشفى .

-اهتم بالأحداث التي عاشتها الجزائر لعقود من الزمن فتعددت الأمكنة بتعدد الأزمنة المحكية .

-الأمكنة والفضاءات في الرواية حقيقية لا يوجد فيها أي نوع من أنواع الأمكنة الخيالية أو الفضاءات المتخيلة ، مما أكسب النص قيمة سوسيولوجية دققت في تفاصيل الحياة الاجتماعية في أحد أحياء ولاية الجلفة، وهو

انعكاس لكل الأحياء الجزائرية فجاء الجزء للدلالة على الكل .

ختاما يمكننا القول أن النص الروائي على عكس القصيدة الشعرية ، فن يمكنه الغوص عميقا في دهايز المجتمع مفسرا العادات والتقاليد ، معددا الطباع وأسباب اكتسابها ، فيصبح النص بمثابة وثيقة اجتماعية تصور المجتمعات من جوانبها السوسيولوجية التي قد تساعد القارئ على فهم كثير من مجريات الحياة ، كما يمكنها أن تكون بمرور الأزمنة وتبدل الطبائع والصفات في المجتمعات التي تتطور بسرعة يمكنها أن تكون وثيقة معرفية تجسد لحظات الزمن المنسي ، أو تفسر تطور الأخلاق المجتمعية في مجتمع ما كيف أصبحت وكيف تحدثت عنها الرواية في زمن سابق .

المصادر والمراجع

(01) . الكتب :

إسماعيل يبرير ، مولى الحيرة . رواية . دار الخبر للنشر ، الجزائر ، 2016 .

جميل حمداني ، النقد الروائي والايديولوجيا . من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، 1990 .

جيرار جينيت و آخرون : الفضاء الروائي ، تر عبد الرحيم حزل، منشورات إفريقيا الشرق . الدار البيضاء 2002 .

حسين البحراوي ، بنية الشكل الروائي . الفضاء ، الزمن ، الشخصية . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط01، 1991 .

عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية . بحث في تقنيات السرد، سلسلة دار المعرفة رقم 240 ، ديسمبر 1998 .

(02) . المجلات :

إبراهيم الحجري، مجلة القدس العربي " تمحيص سري سوسولوجي
لواقع الحي الجزائري " تم نشر المقال بتاريخ 2016/12/22 .
الدراسات البيئية ، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية
ودراسات المرأة ، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن . المملكة
العربية السعودية . 2017م ، 1438هـ .
دروش فاطمة فضيلة ، التغيير الاجتماعي في الجزائر من منظور
سوسولوجيا الرواية . المجلة الجزائرية للدراسات السوسولوجية . العدد
الرابع ، جوان 2010 .
سعيد تومي، سوسولوجيا الأدب : النشأة و التطور ، مقال منشور
في مجلة المعارف ، مجلة علمية محكمة ، السنة الثامنة ، ديسمبر
2014 . العدد 16 .

(03) . المذكرات والأطاريح:

صالحه عباسي ، سوسولوجيا النص الأدبي وتطبيقاتها في النقد
العربي المعاصر ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في النقد والمناهج .
جامعة أم البواقي . الجزائر ، 2012 .

(04) . مواقع إلكترونية :

رواية "مولى الحيرة" لإسماعيل بيري: بنوراما مؤثرة للحلقة القديمة ، وكالة
الأنباء الجزائرية 2016/07/22 . موقع الإذاعة الوطنية
<https://www.radioalgerie.dz/> الجزائرية